

ما يظنه مؤثراً فيه بالنسبة الى نوع معدنه وقابلية تأثيره وهو ما يصح ان يسمى بالسياسة الزوجية التي تحفظ الزوج صيانة قلب امرأته من فساد الاوهام خالياً مما يشوبه من الشك والارتياب . وهذه السياسة مطلوبة منه جدرة به لان العزة الالهية والهيبة الجامعة لجماعته رفيقا أميناً ووالداً مرشداً وزوجاً مخلصاً

والعاقل من عرف كيف السبيل لبلوغ السعادة والصفاء من الزواج الذي جماعته السنة اساساً متيناً لتوثيق دعائم الوفاق بين الامم البشرية واتحاد القلوب والافكار لتقديم بني الانسان في الحضارة والعمران

المملكة والدين

ظهر الانسان على وجه البسيطة مجملًا بكل قواه الطبيعية جسداً وعقلاً نوعاً لا رتبة ، على انه لا انفطاره على حاسة الخوف ومحبة السيادة بالانقياد لاراء من هم اوفر منه شجاعة وامهر تدريجاً سار في طريق الحياة المتشعبة ولا ناموس له غير التقاليد ولا شريعة تقيد امياله غير ما وضعه بعض الافراد الذين ظهروا في معظم ادوار البشرية فرتبوا بحسب صوالهم وصوالح الشعب سداً تطابق ظروف الاحوال التي ظهروا بها فانقسمت القبائل وتكونت الملل فاختلعت باختلافها الاهواء وتباينت المقاصد وآلف كل مشرب قومه فاصبح لعظم سطوة العادة متمسكاً بتقاليده الموروثة متخذاً اياها دستوراً في كل اعماله مرتجفاً فرقا لدى اقل مخالفة تصدر منه خشية العقاب في العالم العتيد فتتجت

عن ذلك التعصبات الهائلة والانشقاقات العديدة التي مزقت شمل البشر وبددتهم على وجه البسيطة اقساماً يعيش كل منها بالتقدير والاكتفاء بضروريات الحياة يربي الاطفال على حب الجنسية والتعصب ليكونوا في المستقبل اهلاً لحمل راية الدين والدفاع عنها في معارك الجهاد العديدة

وهكذا مرث قرون عديدة على بني الانسان وهم مشتتون قبائل كل واحدة منها مستقلة بنفسها تجمع افرادها وحدة التقاليد . وتضم كل منهم الرئاسة الدينية التي كانت بيدها ادارة الاحكام المدنية بفروعها واجازة الصلاح وعقاب المجرمين « بحسب ما كانوا يعتقدون »

وبالاجمال ان وحدة البشرية التي فسحتها الغايات لم تكن اتدعن في تلك الازدهار الا لصوت الدين ولاحكام الكهنة فكانت الدول اذ ذاك اشبه بنوع من الملك المطلق تديرها اهواء الرؤساء فيساعد على الخضوع لاحكامها عى الشعب وجهله

وبما ان الانسان ذو عقل يقوى بالتجارب وجراثومة الادراك الحقيقي الكاثنة فيه منذ الوجود من ناموسها الارتقاء والاكتساب ما لبث ان شعر بشقل نير العبودية على كاهله وعلم انه لو وجد دين فليس من احكامه وشرائطه تلك المظالم التي ينوء تحت عبئها فسببت تلك المعرفة انفتاح اذنيه الصماوين فسمع نداء الصوت الطبيعي صوت النفس المعذبة بالاذعان مع الجسد لاوهام تقودها الى فقد موهبة الحرية الذاتية فكراً وقولا وعملا . فهاجت الحواطر وانفكت قيود الاستعباد من ايدي الشعب المظلوم فتام يطالب بحقوقه المسلوبة فتكونت اذ ذاك عدة جمهوريات كانت الاراء فيها لنواب الشعب والحكم لرئيس ذي اهلية يقوم بالانتخاب العام . ولكن لم تكن تلك

الحكومات لتحيي طويلاً لكونها مفقودة المبادئ الأساسية لقيام مثل هذا النوع من السطة لان مقاومة بعض السلالات الشريفة من تلك القبائل أولاً . وثانياً عدم وجود الفضيحة بين العامة . وثالثاً شوب نيران الحروب المستمرة بدون قاعدة ولا نظام وكل هذه الأمور كانت سبباً جوهرياً لسقوط المبدأ الديموقراطي وتسلط رجل واحد على الرعية فهدمت أساسات الجمهورية وقام الملك

وبما ان مجلس النواب الاول ابقى اثرأ سيئاً في نفوس الرعية لعدم مطابقته ظروف احوالها سامت اعنة الاعمال بأسرها لشخص الملك يديرها فيخضع الشعب لمشيئته كيفما اراد بدون مانع ولا معارض فنتج عن ذلك الحكم المطاق تعريض سياسة المملكة لتقلبات خواطر الملك واحواله التي ما لبثت ان تلاعبت بها ايدي المقاصد وعاد الكهنة يلقون بمقل حاكمهم الاوهام والوساوس فسقطت الرعية مرة اخرى في المحذور الذي تحاشته ولم تر بداً من الاذعان لاوامر رؤساء الدين التي كانت تأتي عليها من فم ملك اقسمت له خضوعاً ابدياً . فكانت تدوم تلك المملكة يخفي ضغط ارادة الملك صوت الشعب المتظلم حتى يغزوها شعب آخر او تسقط لذاتها تبعاً لقواعد كل عمل لم يطابق الظروف او لم تطابق الظروف مبادئه

ولو تفحصنا تاريخ العصر الماضي ونظرنا الى كيفية تقلبات ممالكها رأينا من خلال زواجر تلك الحروب الهائلة والانشقاقات والمظالم التي لا تحصى كلمة الدين التي أوجدت اللوثة فنتج عنها الانقسام . اوجدت للمجبة فكانت سبباً للاحقاد . اوجدت للسلام فارق بسببها من دم العباد انهار فإلام نعزي هذا الانقلاب والبون العظيم بين السبب والنتيجة في

هذا المقام . إلى الدين من حيث كيانه المجرد فانه بالنظر ابدياته لا يدخل طي الغايات الشخصية والاهواء النفسية وليس من الممكن الفأوه من حياة البشر اذ بذلك تشوش ميزانية الحقوق بين الشعب الجاهل الواجبات ما لم تدفعه الى اتباعها قوة لا يعرف ان يعبر عنها بسوى كلمة (ارادة الله) وسيان عنده اذا كانت تلك الارادة وصات اليه سالمة من كل زيادة لاخضاعه او لتجريف لسلطة الرؤساء ولا يلام الشعب لانقياده الى عنان لا يعرف اي يد تديره لانه لا يزال كيفما تحرك يسمع باذنيه اوامر سياسية محضة تجعلها كلمة « مشيئة الخالق » ارفع من ان يدركها عقله . كما انه لا يمكنه الاتفاق على رأي لما به من تباين المقاصد واختلاف القوى العقلية والاراء الضعيفة التي لا تحيط بشتات المسائل واهميتها

أعلى الملك تأتي تبعة هذه السيئات والشخص الذي تلقى على مسؤوليته ميزانية السلام ويده نقطة دائرة الاحكام يجد ذاته ضعيفاً لدى مقاومة الدين وقد اصبح هذا مفروساً في فؤاد كل فرد من افراد رعيته اذا ليس الدين علة كل هذه الضربات التي اوهنت دعائم البشرية وليس الشعب مسؤولاً عما يفعل لانه لا يأتي بغير ما يؤمر

والملك ولو كان حكيماً يلتزم قسراً اتباع صراط الاعوجاج فن الجاني اذا لم يكن اولئك الذين استعملوا تسلطهم على عقول بني الانسان بمبادئ الدين ذريعة للتدخل بشؤون الاحكام فتعزز جانبهم وقوي سلطانهم حتى لم تعد تميز الشرائع الدينية عن النظمات المدنية فاصبحت المملكة والملك اشبه بترس يحمله رؤساء الدين لحماية معتقدهم ضد ادعاءات الملل الكثيرة المدد وحفظوا قوتهم باضعاف العامة واذلالها فرفع كرسي مجدهم على بقايا حرية سلبوها من

الشعب فاصبح بفقدها جسداً بلا حركة وبالتالي حركة لا ارادة لها غير اميالهم المقدسة

وهكذا في معظم ادوار الوجود سقطت ممالك وأيدت قبائل واهرت دماؤها البرية على سفار النصال ولا ذنب لها سوى مخالفة العدو بالمعتقد والنقايد فقط فكان العالم بأسره في تلك الاجيال لم يكن يحى بسوى نسمة الدين التي لاجلها اوقف كل صوالحه الادبية والتجارية حتى اخر نسمة من حياته ولا يمثل لنا التاريخ حروبا افطع من التي سبب شوب نارها التعصب الذميم ولا يرينا ابطالا اشتهروا بالفزوات وسفك الدماء الا وزرهم بيدهم سميري التوحش ما طعنا بدم الظلم وعلى جباههم كلمة الدين مخطوطة باحرف الويل والدمار

اما الان وقد ضلت شتات البشرية دول قوية عظيمة تتألف جامعتها من جميع الملل والمعتقدات فقما او من المستحيل ان نسمع ان حرباً نظامية كان الدافع لاصلاها الدين ولو اتخذ رجال سياسة العصر هذه الكلمة نقاباً يسترون تحته مظالمهم المادية . فالماقل يعلم علم اليقين ان كما كان المذهب بالاعتقاد فيما ساف محورا لحركة الحروب هكذا مارك هذا الدور من الحياة البشرية محور دائرتها الاراضي المتسعة والاصفر الزمان

ففي العصر القديمة كانت المملكة من دين واحد وتقاليده واحدة ولهذا كانت تهتز بأسرها كسلك مسه الكهرباء حينما تاتي في اذان الشعب كلمة حرب الجهاد . اما الان وقد اختلط معدن ذلك السلك فباطلاً يجتهد الدين ان يذعنه لاحكام

ولكن من المقرر طبيعياً ان كل متحرك يولد قوة وكل قوة لا تبرح

متحركة . فاين مضت قوة الدين يا ترى ؟ هل اضمحلت ؟ — ليس من الممكن الجزم بذلك وابسط رجل يعرف بان القوة ليست الا نتيجة بسيطة لسبب تلازمه لانها صادرة عنه . اذا قوة الدين موجودة لانه هو موجود ولا شك ان به عظمة سامية تشبهه في عالم المبادي وتلك من اسرار المبدع العظيم فلا نحاول لعجزنا كشف مستوراتها ولكننا نجتهد لمعرفة مراكز تلك الحركة المستمرة التي سبب تغيير هيئة الكون مراراً عديدة لعلمنا ندرك مبدأ سيرها فنعلم الى اين تنتهي غايتها

فالقطار المتحرك بفعل البخار الذي تحصره الآلات الميكانيكية وتدفعه للسير على الطريق المعدة له لو اوقفت حركة سيره ومانع غالبه لما منع وقوفه متابعة دوران العجلات على محورها واستمرار الحركة ما دامت القوة الاولى آخذة مفعولها . هكذا نشبه المملكة وحالاتها من حيث اندفاعها بقوة الدين وسيرها بهوادي التعصب والجهالة والويل فيما سلف من الزمان ووقوعها مترتبة مكانها في هذا العصر . لا يمنع مانع الحوادث الماضية استمرار حركة الافكار المغددة بكلمة الدين التي لا تنحى من عقول البشر

ولا حركة بلا نتيجة فان لم تظهر نتائجها بما يجاورها من المتحركات حصرت بنفسها وسبيت لذاتها نفعاً او ضرراً بحسب مبادئها وقرائن الظروف التي تلحق بها . فالدين بروؤسائه لا يفتقر عن مقاومة الحكم المدني مدعيان ان سلطة الدين تشمل كل فروع الشرائع الوضعية (خلافاً لطبيعته) فيريداقتياد الشعب المنظم والمثبنت بكلمته لكما يبيديه من الاراء ويحدثه من المبادي التي تتخالف على خط مستقيم قيام المملكة وسلطة القانون و ارادة الملك . ومن جهة اخرى نجد المملكة لا تعتبر الدين الا امراً ثانوياً لا يسمح لغير النفس

بالاذعان لاحكامه وتجدها محقة بازالة كل العقبات التي تحول دون حكمها على الاشخاص وتفردا بادارة غرس المبادي لتكون مالكة لافكار شعبها في المستقبل وهي (اي المملكة) لا تترض احداً بدينه اذا شاء السجود للحجر او للقمر او لله ولكنها تخشى تسليم رعاياها الاعمى لروساء الدين لعلهم بما وراء ذلك من بذور لو تمكنت يده من القاها في ضمير الانسان لمادت التعصبات التي بذات مجهودها لمحو اثارها ضناً بالصالح العام

اذاً نعلم مما تقدم انه لما كانت قوة الدين شاملة اقسام الممالك المطلقة كان مركز العرش عند اقدم الهيكل . وعند ما تقيدت الاحكام واختلقت المذاهب بين معظم التبعات لو حدث هذا باسم الوطن نهض العرش مرتفعاً حتى الهيكل فساواه وصار الانسان كفتي ميزان نقطة ثقلها كاهل الشعب وهذا هو الدور الثاني

بقي ان ننظر الى الدور الثالث والاخير . ولنفتش باقطار العالم قاطبة فلا نجد ممالك يزعم فدى الدين بحسب مبادئ الملك . ومن المؤكد انه لا عرش بلا هيكل يقوم ولا سبيل لوجود هذا محطماً بدون ان نشاهد ذلك ملقى تتلاعب ببقاياه ايدي نواب الشعب ليكونوا منه كرسياً بسيطاً يجلس عليه رئيسهم وحيث ان هنا اخر نقطة من تشفيات الاحكام لا نشك اننا نرى عندها باجلى وضوح آخر نتيجة يقف عندها الدين واذاً فلنحول ابصارنا الى فرنسا

هناك لا عرش ولا هيكل . هناك اثار صولجان محطم وبقايا ملوك عظام تقطعها عظام لويس السادس عشر الذي أيد الدين بيامه وتكسر الهيكل من مملكته فسقط رأسه دامياً تحت نصل (المقصلة) الكيلوتين تلك

الآلة الجهنمية . هناك على تلك الاثار التي تستنزف الدمع نرى كرسياً حديثاً ركزته يد الشعب فذاق بقربه الراحة بالحرية وعرف العدل بالمساواة وعلم بالاخاء ما هي المحبة والسلام

واذا تأملنا بحالة الدين في فرنسا نتأكد بديهاً انه الى هذه الغاية ستصل حركة الاعتقادات المستمرة في المعمور وهكذا تبعاً لناموس رد الفعل وعود الدائرة الى محورها ستسقط العروش ومعها الهياكل لان الملك على نوعيه الكائن لا يوافقان مشرب العصر والظروف التي تقارنه فالملك المطلق لا اختلاف مذهب الملك عن مذاهب رعيته المختلفة لا يثبت الا بتوحيد الاعتقاد وهذا غير ممكن

والملك المقيد لا يتبع الملك الى مطاوعة كل رؤساء الدين مع اختلاف مذاهبهم لا يثبت لان الشعب وحده يحمل الضربات المتولدة من اختلاف يلتزم الوثام سياسة ظاهراً وليس باطنياً . ولا اخال ذلك الشعب المسكين صابراً طويلاً وهكذا سيأتي زمان يلتفت البشر الى مما لكننا وقد طوتها الاديوار فيقولون كان قبلنا قوم يذعنون لحكم رجل واحد تتلاعب بعقله وارادته المقاصد . كان قبلنا اناس لا يميزون بين الاعتقاد والحكم كان بشر مثلنا يحملون بكل قواهم العقاية يذعنون للاوهام ويشربون كأس العيش ممزوجة بصبر التعصب ويضحكون مما نبكي منه الان

فليكس فارس